

اختلف علماء الفلك قديماً على نشأة الكون: وهل للكون بداية؟ وإذا كان للكون بداية، كيف ومتى حصلت؟ من أنشأ هذه البداية؟ حتى أتي علم الفلك الحديث وحسم هذه المسألة، وقدم الدليل المادي لنشأة الكون، وأجاب على كيف ومتى. نحن المسلمين ذؤمن أن المخلق - سبحانه وتعالى - هو خالق كل شيء، والوكيل عليه. وقد أخبرنا القرآن **كيف بدأ الكون في آية واحدة**. وتتضح عظمة وإعجاز الآية الكريمة: (أولم ير الذين يكفرون أن السماوات والأرض ثان١ تارثيًّا ففتقدن لهما وجع لدن مِنَ الْمَاءِ ثُلُثٌ شَرٍّ حَتَّى افتقاً وَمُنْوِنٌ) الآية 30، في كونها أتت قبل أكثر من 1400 سنة، بينما لم يتوصل العلم إلى هذه الحقائق (عدد وتسلسل صحة ودقة Accuracies المعلومات التي احتوتها) إلا قبل أقل من 100 سنة.

المرتقب ضد المفترق، فارتقاء أي الٰتاً، والمرتقب بمعنى الضم والملاحم. وقد أورد القرطبي في تفسير قوله تعالى: (كانت) لأنهما صنفان، ولأنه يعبر عن السماوات بلفظ الواحد بسماء، ولأن السماوات كانت سماء واحدة. وفي تفسير رضا قال ابن عباس والحسن وعطاء والضحاك وقتادة: (يعني أنها كانت شيئاً واحداً ملتزقتين ففصل الله بينهما). يقول ابن كثير في تفسير (كانت رتقا): أي كان الجميع متصلة بعضه ببعض متلاصقاً متراكمًّا فوق بعض في ابتداء الأمر.

لنتظر الآن إلى عدد الحقائق في الآية 30 من سورة الأنبياء التي تخبرنا **كيف بدأ الكون**:

1- قال الله تعالى: (أَوَلَمْ) استفهم إنكارياً يتضح مدى بلاغته في المضيق حين لم يؤمنوا بعد أن علموا.

2- قال الله تعالى: (يَرَ) بمعنى يعلم. والحقيقة هي، أن اكتشاف بداية هذا الكون تطلب علمًا وليس إيمانًا.

3- قال الله تعالى: (الَّذِينَ) أي جمع، والحقيقة هي، أن من اكتشف **كيف ومتى بدأ الكون** هم عدة أشخاص.

4- قال الله تعالى: (كَفَرُوا) أي غير مسلمين. والحقيقة هي، أن غير المسلمين هم الذين اكتشفوا **كيف ومتى بدأ الكون**.

5- قال الله تعالى: (السَّمَاوَاتِ وَالْأَرْضَ) مع أي الكون كله. والحقيقة هي، أن الكون كله كان رتقاً أي كتلة واحدة.

6- قال الله تعالى: (السَّمَاوَاتِ وَالْأَرْضَ) أن الله - سبحانه وتعالى - قدم السماوات على الأرض. والحقيقة هي، أن خلق السماوات أي الفضاء يجب أن يسبق خلق الطاقة والمادة أو يصاحبها، ومن المستحيل أن يكون العكس. ويقصد بالسماء المكان أو الفضاء space، الذي يحتوي على كل الأجرام السماوية. أما الأرض، فهي رمز للمادة التي تكونت منها المجرات والمسموم وكل الأجرام السماوية الأخرى بما فيها الأرض. هذه المادة إنما تكون مركبة (والماء) تعرف علمياً بـ matter baryonic وتشكل 4% من مجموع ما في الكون من مادة وطاقة أو غير مرئية (والتي تعرف علمياً بالمادة المادكينة matter dark وتشكل 23% من مجموع الكون، والطاقة المادكينة energy dark وتشكل 73% من مجموع الكون).

7- أن الكلمة (رَتْقٌ)، أي أوصى بعضه ببعضًا، تقتراح أن مكونات الريتق إما أن تكون من جسيم واحد Particle ولكنها متفرقة فرتقاً أو أكثر من جسيم واحد، ثم رتقوها. بعبارة أخرى: أن الجميع كان متصلًا بعضه ببعض متلاصقاً متراكماً فوق بعض في ابتداء الأمر. والحقيقة هي، أن كل ما في الكون كان متلاصقاً في مادة غير معروفة لدى البشر حتى الآن، أي لم يكن هناك فضاء ولا طاقة ولا مادة ولا زمن كما نعرفها الآن.

٨- حينما وصف الله - سبحانه - المسمّاوات بالمرتق فهذا يعني أن المسمّاوات - أي المفضاء - أيضًا مادة. والحقيقة هي، أن العلم الحديث توصل إلى أن المفضاء مادة ويحتوي الأجرام المسمّاوية ويجبرها كيف تسبح، وهو ما عبر عنه الفيزيائي البروفيسور جان أركيبالد ويلار بقوله : (how it telling ,mass grips Spacetime :)

(to move, and mass grips spacetime, telling it how to curve.

١٠- هناك حقبتان زمنيتان حتى الآن في خلق المكون: حقبة ما قبل المرتقة وحقبة المرتقة، فلكي يكون هناك رتبة فلاابد من وجود كتلة/قتل تسق المرتقة.

11- قال الله تعالى: (فَقَاتَلُوكُنْلَمَّا) أي أن بدء الكون كان فتناً وأن فتق الشيء يتضمن القوة والشدة في الفصل. والحقيقة، أن هذا هو ما حصل بالفعل أبناء وخلال الانفجار الكبير Bang Big the زمانية ثالثة.

12- أن المفأء في (فَفَتَّقَنَاهُمْ) تتضمن المتأول المبادر بعد المرتقى. والحقيقة هي أن البشرية لم تتوصل ماديًّا بعد إلى هذه المتيبة، وإن كان هناك بعض المتخمينات لبعض علماء الفلك أن هذا قد يكـون حـصل أو سوف يحصل وسمـوه الـالمـتأـولـ الكبير Big the Bang.

13- لقد أخبرتنا الآية بما آلت إليه مادة المرتقة، ولكن الآية لم تخبرنا عن ماهية مادة المرتقة ذاتها، وكيفية ذلك المرتقة، والحقيقة أنه من المستحبيل للبشرية معرفة مكونات المرتقة؛ لأن المفترض دمر تلك المادة) والمكفيية التي كانت فيها تدميراً في الانفجار الكبير.

14- أن الماء أساس الحياة، فحيث توجد حياة يوجد ماء، أي أن الماء يسبق وجود أي حياة، وهو اثبات زمانية ثابتة. وقد تكون حقيقة وجود الماء حقيقة ذاتية، وحقيقة وجود حياة حقيقة ذاتية خامسة.

١٥- أن تضمين (وجَعْلَنَا مِنَ الْأَكْلِ شَيْئَ حَيٍ) في نفس الآية وترتيبها بعد ذكر المفتق تشير إلى أن هذا المكون مقدر له وجود ماء فيه، ثم حياة، ثم ظهور الجنس البشري، أي أن المكون هُيَّ لكي يستقبل البشر، وهو ما يعرف في علم الفلك بالمبدأ الإنسان المكوني The principle Cosmological anthropic (principle Cosmological anthropic).

١٦- بعد أن أخبر الله - سبحانه وتعالى - أن غير مسلمين هم الذين سوف يكتشفون كيفية وزمن بدء الكون، يوبخ الحق - سبحانه وتعالى - الكافرين الذين اكتشفوا ذلك بعد الإيمان فقال: (أَفَلَا يُؤْمِنُونَ)، وكان الحق قد استنصر عليهم علمهم ببدء الكون. والحقيقة هي أن الأشخاص الذين اكتشفوا علميًّا كيفية بدء الكون لم يؤمنوا بالإسلام، وبعضهم حتى لم ولما يؤمن بالله - عز وجل.

أُخْرَى:

إن المستحقي المذكورة سابقاً قد تفسر قول الحق - سبحانه: (الَّذِي خَلَقَ السَّمَاوَاتِ وَالْأَرْضَ وَمَا بَيْنَهُمَا فِي سَيِّئَةٍ أَيْمَانٍ) المدحقاران: 59. والله أعلم.

إن عدد الحقائق وتسلسلها المذكورة سابقًا وبهذا التسلسل وبهذه الدقة، لم يتوصل إليها البشر قط إلا خلال المائة المئنة الماضية. فكيف عرف كل هذه الحقائق إنسان أمي من قوم أميين ظهر قبل أكثر من 1400 سنة؟ لا بد أن يكون علمًا خارج الإطار البشري. وصدق الحق المخلق المقابل في محكم تنزيله: (إِنَّهُ لِلَّهُ الْعَلِمُ بِأَنَّهُ بَعْدَ حِينٍ).